

دور القروض الصغيرة و متناهية الصغر الاسلامية في تمويل مشاريع البنى التحتية

تجربة بنغلادش - السودان - الاردن

حدوش شروق^{1*}، صباغ رفيقة، تومي امينة³

¹ جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)

² جامعة لجيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)

³ جامعة لجيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)

The role of Islamic micro and small loans in financing infrastructure projects : Experience of Bangladesh - Sudan - Jordan

ملخص:

تعتبر القروض متناهية الصغر أداة فعالة لمواجهة الفقر ، فهي تساعد الافراد الغير قادرين على دخول النظام المالي الرسمي على اقتراض مبالغ صغيرة من الاموال يحتاجونها لبدا او تطوير اعمالهم¹ .

أكد مختصون وخبراء في التمويل الإسلامي أن التمويل متناهي الصغر والذي يتم وفقاً للشريعة الإسلامية يعد حلاً مميزاً لمعالجة الفقر في العالم الإسلامي، حيث يعتبر الفقر أحد أكبر التحديات التي تواجه الحكومات في المنطقة، يأتي هذا التأكيد في الوقت الذي أشارت فيه تقارير إلى ضعف انتشار هذا النوع من التمويل، حيث أكد مختصون أن دور التمويل الأصغر في مكافحته للفقر لا يزال محدوداً للغاية كما اشاروا إلى ضعف انتشار التمويل الأصغر الإسلامي في الدول العربية وعدم إقبال مقدمي خدمات التمويل الأصغر التقليدي على تقديم خدمات التمويل الأصغر الإسلامي. وفي هذا الإطار تسعى مؤسسات وجهات خاصة في القطاع للعمل على دعم هذه الصناعة

الكلمات المفتاح: الفقر، التمويل الاسلامي - صيغ التمويل - القروض المتناهية الصغر.

Abstract:

Micro-credit is an effective tool for combating poverty. It helps individuals who are unable to enter the formal financial system borrow small amounts of money they need to start or develop their business. Islamic finance specialists and experts confirmed that the micro finance, which is carried out according to the Islamic Sharia, is considered a distinguished solution to tackle poverty in the Islamic world. Poverty is one of the biggest challenges facing governments in the region, this emphasis comes as reports indicate that this kind of financing is weak. The role of microfinance in its fight against poverty is still very limited, and they also point to the low prevalence of Islamic microfinance in Arab countries and the non-interest of traditional microfinance providers in providing microfinance services This industry

Keywords: Poverty, Islamic finance - Financing formulas - Microcredit.

I- تمهيد:

تمثل " Micro Credit " إحدى الوسائل الاقتصادية لمساعدة الفقراء غير القادرين على الحصول على دعم مالي من الجهات المتخصصة كالبنوك (بسبب عدم وجود ضمان)، وذلك للقيام بمشروعات تدر عليهم دخلاً يساعد على تحسين أوضاعهم المالية.

و هذا ما أثبتته نجاح تجربة (بنجلاديش) مع بنك محمد يونس في تمويل المشاريع الصغيرة جداً عن طريق قروض بدون فوائد الأمر الذي سمح بخلق مداخيل ثابت، للطبقات الفقيرة في (بنجلاديش)، و سمح أيضاً بتطوير مشاريع أخرى كثيرة، لكن يبقى التمويل الإسلامي ضعيف الفعالية بسبب محدودية صيغه التمويلية (عدم تطور الهندسة المالية الإسلامية) و عدم تكيفها بشكل جيد مع الاحتياجات التمويلية للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة بالإضافة إلى بنك الادخار المحلية الذي تأسس سنة 1963 الذي لا يتعامل بالفائدة حيث اظهرت هذه التجربة نجاحاً لم يكن متوقع

1. الاطار المفاهيمي للقروض الصغيرة و متناهية الصغر :

سنحاول من خلال هذا المحور التعرف على اهم الجوانب النظرية للقروض المتناهي الصغر.

1.1. تعريف القروض متناهية الصغر:

هو تقديم قروض صغرى لأسر غاية في الفقر، وذلك بهدف مساعدة هذه الأسر على البدء في أنشطة إنتاجية، أو تنمية مشاريعهم الصغرى، واتسعت دائرة التمويل الصغير على مرور الزمن لتشمل مزيداً من الخدمات (الإقراض والادخار والتأمين ... الخ)، وذلك نظراً لحاجة الفقراء لمجموعة متنوعة من الخدمات المالية بعد أن استعصى عليهم الانتفاع من المؤسسات المالية الرسمية ؛ هي إحدى الوسائل الاقتصادية لمساعدة الفقراء الغير قادرين على الحصول على دعم مالي من الجهات المتخصصة كالبنوك (بسبب عدم وجود ضمان)، وذلك للقيام بمشروعات تدر عليهم دخلاً يساعد على تحسين أوضاعهم المالية (الناصر، 2013)؛

يشير التمويل الأصغر إلى تقديم قروض صغرى للفقراء (خاصة أولئك الذين لا يستطيعون الاستفادة من الخدمات المالية الرسمية) من خلال برامج تصمم بالتحديد لتوفير احتياجات أولئك الفقراء بما يتلاءم مع ظروفهم. (*)

2.1. الخصائص المميزة لبرامج التمويل الأصغر :

- غالباً ما تكون قصيرة الأجل أقل من 12 شهر ، وبشكل عام تكون لتمويل رأس المال العامل وتكون على دفعات أسبوعية أو شهرية ، ويتم صرفها بسرعة بعد الموافقة ، خاصة لمن يحصلون على تلك القروض بشكل متكرر؛
- على عكس ما يتم طلبه من خلال المقرضين التقليديين من ضمانات ملموسة مثل رهن الملكية ، فإن يتم طلب ضمانات سهلة كنظام ضمان المجموعة، وفيه يكفل الأعضاء بعضهم بعضاً بالتبادل لضمان السداد.
- طلب القرض وإجراءات صرفه تكون بسيطة وسهلة الفهم، ويتم تصميمها بما يتلاءم مع المقترضين منخفضي الدخل (غانم، 2010، الصفحة 18).

(*) - لا بد من تحسين كفاءة عمليات التمويل الصغير بزيادة نوعية الخدمات و تخفيض تكاليفها ، وذلك عن طريق الاستثمار في انظمته جيده للمعلومات الاداريه ، و تحسين التكنولوجيا المستخدمة.

3.1. نشأة القروض متناهية الصغر:

بدأ التمويل الأصغر في بنغلاديش (*) وأجزاء من أمريكا اللاتينية في أواسط سبعينيات القرن العشرين لتقدم الخدمات الائتمانية والقروض للفقراء، والمستبعدين بصفة عامة من الخدمات المالية الرسمية. وقد اكتسب هذا النموذج شعبية وجرى تكراره منذ ذلك الحين في كل من البلدان المنخفضة والمتفعة الدخل. (**) وعلى مر الزمن، قام مقدمو الخدمات المالية بتنمية فهم أفضل لمجموعة واسعة من الاحتياجات المالية للأشخاص ذوي الدخل المنخفضة في كل من المناطق الحضرية والريفية. ومن بين هذه الاحتياجات بناء الأصول، وإدارة تدفقات الدخل غير المنتظمة، والتعامل مع الأزمات مثل المرض والوفاة والكوارث الطبيعية، والنزاعات. ويقدم العديد من مقدمي الخدمات المالية حالياً مجموعة واسعة من المنتجات التي تتعدى تقديم الائتمان مثل الادخار والتأمين والتحويلات النقدية لمساعدة الفقراء على إدارة حياتهم المالية. وما زالت التكنولوجيات الجديدة توجد فرصاً لتوسيع نطاق وصول الخدمات المالية للفقراء وخفض تكاليف تقديمها. وتتوافر الآن الخدمات المالية في العديد من الأسواق لأي شخص عن طريق الهاتف المحمول، ويعمل الابتكار على تحسين كل من تصميم المنتج وطريقة تقديمه. واليوم، صار التمويل الأصغر ينظر إليه بشكل متزايد(***)، باعتباره مكوناً، من مكونات نظام الاشتمال المالي الأوسع نطاقاً، يتألف من عدة أطراف فاعلة تشترك في هدف واحد يتمثل في تقديم خدمات مالية عالية الجودة إلى الأشخاص منخفضي الدخل (الأصغر، 2017).

4.1. أنواع القروض متناهية الصغر : نحدد أهمها في ما يلي :

✓ الإقراض الفردي:

لا يفضل تقديم القرض الفردي للمشروع المتناهي في الصغر إلا إذا كان ناجحاً ومستقراً، ولكي يكون كذلك يميل المشروع إلى أن يكون أكبر قليلاً، أي المشروع الصغير وهو أكبر من المشروع المتناهي في الصغر، وتفضل البنوك التجارية أكثر من مؤسسات التمويل المتناهي في الصغر الدخل في هذا النوع من الإقراض لأنه يشبه العمليات العادية لها (****)؛

✓ القرض الجماعي:

يعتمد هذا النوع من القروض على ضرورة تكوين مجموعة من الأفراد المتجانسين، ويرجع التجانس إلى كون الأفراد أقارب أو أصدقاء أو مشاركين في نفس المشروع، وقد تكون المجموعة صغيرة (من 5 إلى 10 أفراد) أو كبيرة (من 30 إلى 100 فرد) (111 فرد) من بين مزاياه أن يتضامن أعضاء المجموعة في مسؤولية السداد، حيث تتحمل المجموعة المسؤولية في السداد عمن يتعثر نومن بين اهم عيوبه أنه إذا تعرض بعض الأشخاص للتعثر في السداد نتيجة للظروف الاقتصادية السيئة، فإن لذلك تأثير

(*) - بدأت فكرة القروض متناهية الصغر مع الدكتور محمد يونس الذي يدرس علم الاقتصاد بجامعة شيتاجونج في بنغلاديش، والذي قرر أن يساعد بنفسه على حل هذه المشاكل، حيث أعطى قرضاً لامرأة فقيرة قدره 6 دولارات حتى تستطيع أن تشتري المواد الخام لصنع السلال ثم تبيعها، وفوجئ أن هذه المرأة استغلت القرض وقامت بصناعة وبيع السلال واستطاعت أن ترد المبلغ كاملاً؛ وهو ما أوحى له بإمكانية تطبيق البرنامج على مستوى أوسع فقام بتأسيس (Grameen Bank بنك القرية أو بنك الفقراء) عام 1976.

(**) - ازداد مؤخراً الاهتمام بالتمويل الأصغر باعتباره أداة هامة جداً للحد من الفقر، وتحسين المستوى المعيشي لفقراء العالم الذين يقدر عددهم بأكثر من مليار شخص.

(***) - ويتلاقى التمويل الأصغر والتمويل الإسلامي في أن كلاهما لم يمس على بدايته أكثر من أربعة عقود ومع ذلك فإن كل منهما قد أصبح شائعاً وانتشر انتشاراً واسعاً، وقد كانت اللحظة الأكثر شهرة للتمويل الأصغر في العام 2006 بفوز البروفيسور محمد يونس وبنك جرامين بجائزة نوبل للسلام.

(****) - إلا أنه من بين عيوبه أنه يحتاج إلى وقت أكبر للمتابعة من جانب مسئول القروض مما يرفع من تكلفة القرض

سبب على الآخرين الذين قد يتعثروا عن السداد أيضاً ، ويطلق على هذا بتأثير الدومينو لأن سقوط فرد يؤدي إلى سقوط المجموعة كلها ؛

✓ الإقراض حسب الحاجة:

يتم تحديد حجم القرض وطريقة سداده لكي تناسب احتياجات المقترض (سواء فرداً أو مجموعة) وعادة ما يتوجه الفرد إلى مؤسسة التمويل ويطلب مبلغاً واحداً يلبي احتياجاته في شراء آلات أو تحديد معدات أو التوسع ، وعادة ما يكون المبلغ المطلوب أكبر من طاقة مؤسسات التمويل المتناهي في الصغر وهي في طاقة البنوك التجارية العادية فلا يمكن مثلاً مقارنة الاحتياج إلى 80 دولاراً بالاحتياج إلى 3000 دولار ، ويتطلب المبلغ الأكبر للاقتراض مدة أطول للسداد وهنا ترتفع تكلفة القرض بشكل لا يناسب مؤسسات التمويل المتناهي في الصغر ، وإنما قد يناسب البنوك التجارية ؛

✓ القروض المتدرجة:

إذا كان المشروع جديد ، والمقترض يتعامل مع مؤسسة التمويل لأول مرة ، فقد ترى مؤسسة التمويل البدء بقرض صغير ولمدة قصيرة (100 دولار لمدة شهرين) ، فإذا استطاع المقترض السداد وإثبات سيرة ائتمانية جيدة فيمكن هنا زيادة قيمة القرض ومدة السداد (200 دولار لمدة 4 شهور مثلاً) ، وهكذا يمكن التدرج في رفع قيمة القرض وزيادة مدة السداد (*).

2. دور القروض متناهية الصغر في تمويل مشاريع البنى التحتية:

1.1. أهمية القرض المتناهي الصغر:

تكمن أهمية القرض المتناهي الصغر في أنه :

- يعتبر التمويل الأصغر للمشروعات الصغيرة من الأساليب الناجحة في تنمية الفرد والمجتمع من مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لما يتحقق من آثار إيجابية كبيرة له إذا ما نفذ بصورة وطريقة سليمة وبأسسه المعروفة والمتعارف عليها عند أهل هذه الصناعة، حيث أنه يشجع العمل الحر عن طريق توفير التمويل اللازم للمشروعات الصغيرة حسب الميول والافكار الاقتصادية الشخصية (صلي، 2017)؛
- باستطاعة مساعدة المجتمعات المحلية على زيادة دخولهم وتنمية مشاريعهم؛ وبالتالي الحد من نسبة تأثرهم بالصدمات الخارجية، وبذلك يمكن اعتبار التمويل الصغير وسيلة فعالة من وسائل تمكين الفقراء، وبخاصة النساء من الاعتماد على النفس وإحداث التغيير الاقتصادي الإيجابي؛
- أن الدخل الذي يد رة أحد المشاريع لا يساعد فقط على تطوير هذا المشروع بذاته بل ويساعد أيضاً على تنويع مصادر دخل الأسرة بأكملها بما يعكس على أمور أخرى حيوية مثل ضمان الأمن الغذائي وتربية الأطفال وتعليمهم؛
- يتولد لدى المرأة العاملة مع مؤسسات التمويل الأصغر ثقة بالنفس وقدرة على التفاعل مع المجتمع ويحقق لها الاستقلال المالي؛
- التخفيف من تأثر الفقراء بالصدمات الخارجية كمرض رب الأسرة وعائلتها أو التقلبات المناخية أو التعرض للنهب أو السرقة وغير ذلك، مما يترتب عليه عبء شديد على موارد الأسرة المحدودة، فإن لم تتوفر الخدمة المالية الكافية تقع الأسرة فريسة لمزيد من الفقر والحاجة بحيث يتعذر عليها استرداد أنفاسها إلا بعد زمن طويل (غانم، 2010، الصفحة 23).

(*) - وتحقق القروض المتدرجة أمرين هما تقلص حوافز للمقترض حينما يسدد القرض السابق في موعده بأن ترفع قيمة القرض وأن تزيد مدة السداد ، كما تحقق تقليل المخاطرة على مؤسسة التمويل ، وذلك بتقديمها قرضاً يبدأ بحجم صغير فإن أثبت المقترض جدارته الائتمانية ، فإنه يمكن رفع قيمة القرض وزيادة مدته.

11. 2. إيجابيات وسلبيات القروض :

تكمن أبرز إيجابيات القروض المتناهية الصغر فيما يلي :

❖ التقليل من تأثير الأزمات التي يتعرض لها الفقراء:

يساعد برنامج القروض الفقراء على تأمين أنفسهم ضد الأزمات المالية عن طريق امتلاك الأصول، مثل الأثاث المنزلي الذي يمكن التصرف فيه حال حدوث الأزمة (. كما تتيح القروض متناهية الصغر أيضا تعدد مصادر الدخل للفقراء، وهو ما يمكنهم من تفادي حدوث أزمة حال تأثر أحد مصادر الدخل ؛

❖ زيادة الاستهلاك :

وهي تعتبر من التأثيرات الإيجابية للقرض، فبفضله الفقراء الذين يعيشون على حافة الفقر يستطيعون أن يحسنوا من إنفاقهم، واستدامة هذه الزيادة في الإنفاق تمكن الأسرة من تبني خطط أطول لتحسين الدخل والحياة للأسرة؛

❖ زيادة الدخل :

أدت برامج القروض الصغيرة إلى زيادة الدخل والتقليل من الفقر ، حيث يميل المقترضون إلى زيادة دخولهم بمرور الوقت. فعندما تنكسر الحلقة المفرغة للفقر ويبدأ الفقراء في تحقيق دخل ثابت يميل العديد منهم إلى الدخول في استثمارات تساعد على زيادة دخولهم . ورغم تعدد واختلاف تطبيقات برامج القروض الصغيرة فإن النتائج المعلنة ليست غير اعتيادية، ونسبة 5% سنويا كتناقص في معدلات الفقر لأعضاء البرنامج تبدو هي النسبة القصوى للتطبيق المثالي للبرنامج؛

❖ التجمعات الإنتاجية الصغيرة :

وهي إحدى أهم المميزات التطبيقية لبرنامج القروض الصغيرة، حيث يتم تكوين تجمعات من صناعات حرفية واحدة قريبة من بعضها البعض بحيث يمكن للقرويين أن يشاركوا في الخبرات والأيدي العاملة؛ وهو ما يمكنهم من إنتاج كميات من نفس المنتج وبأسعار منافسة تشجع التاجر على الشراء وتفتح سوقا للمنتج (غالبا ما تكون الصناعات من الحرف اليدوية التي لا تحتاج إلى تكنولوجيا عالية)، ولكن تظل هذه التجمعات الإنتاجية الصغيرة ناجحة حين تكون قريبة من السوق أو الطريق العام ووسائل النقل .

رغم الإيجابيات التي تذكر لبرامج القروض متناهية الصغر، حيث نجحت في إخراج البعض من دائرة الفقر وإيقاف تدهور حالات الفقر لدى البعض الآخر، فإن عليها مجموعة من السلبيات: الآتي ذكرها:

❖ حساب فائدة (أرباح) على القرض :

تعتبر من المشكلات الرئيسية لبرامج القروض الصغيرة؛ حيث إن حساب فائدة أو ربح أو رسوم خدمة عالية تماثل الفائدة على القرض ينطوي على صعوبات متعددة للمشاركين في برنامج القروض، فيجب على المقترض ليس فقط أن يتحمل قسط الدين بل أيضا الفائدة المفروضة عليه، كما أن عليه أن يستثمر جزءا من وقته في أنشطة المجموعة كشرط أساسي للحصول على قرض. إضافة إلى ذلك فإن المرأة في كثير من الأحوال عليها أن تتحمل تسلط مشرف المجموعة (مثل المنظمة) (*). وقد لا يعود استثمار الفقير للقرض بأي أرباح، وفي هذه الحالة فإن المال المطلوب لسداد القرض لا بد أن يأتي

(*) - التمويل متناهي الصغر أداة ذات فعالية كبرى لمحاربة الفقر إلا أنه يجب استخدامها بالتزامن مع أدوات تطويرية أخرى وذلك لأنه لا يمكن اعتبار كل أصحاب الدخل المتدني عملاء مناسبين لمؤسسات التمويل متناهي الصغر.

من مصادر أخرى للشخص المقترض، وفي غالب الأحوال يكون على حساب الاستهلاك داخل المنزل (التقليل من الإنفاق على المأكل والملبس والرعاية الصحية والتعليم)، أو من الاقتراض من الآخرين؛

❖ استيلاء الرجل على القرض عن طريق المرأة :

وهي مشكلة شائعة حيث يستغل الرجل المرأة في الحصول على قرض مالي (قليل الفائدة نسبياً) قد يستخدم أو لا يستخدم في إفادة الأسرة، وفي كل الأحوال لا تستفيد منه المرأة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بينما تظل مسئولة عن سداد القرض . كما أن فرص نجاح المشروعات التجارية التي تديرها المرأة تبدو ضئيلة رغم كل الترويج الجاري لها، فعلى سبيل المثال، ففي بتسوانا (إحدى الدول في جنوب القارة الأفريقية) تشغل المرأة 75% من إجمالي عدد المندمجين في المشروعات التجارية الصغيرة، غير أن هذه المشروعات لا تنمو لأسباب مختلفة منها: ضعف القدرة التعليمية للمرأة . يضاف إلى ذلك أنه بنجاح مشروعات القروض فقد يتم منح عدد أكبر من القروض للمستفيدين الذين بدورهم يدخلون إلى السوق المحلية بغرض تحقيق الربح، ونتيجة لذلك فإن التأثير الإجمالي لزيادة العرض وانخفاض الطلب إضافة إلى المنافسة من خارج السوق المحلية يعني انخفاض الربح في هذا القطاع؛

❖ عدم القدرة على الوصول إلى أفقر الفقراء:

إحدى سلبيات برامج القروض الصغيرة هو اهتمامها بقطاع معين من الفقراء وعدم قدرتها على الوصول إلى أفقر الفقراء في المجتمع؛ حيث إنهم يعانون ضالة الدخل وضعف الصحة والتعليم والذي يضعف قدراتهم على استثمار القرض في مشروعات تدر عائداً معقولاً . وذكرت دراسة أعدت حول "تأثير القروض الصغيرة على الفقر في بنجلاديش" أن الفقراء متوسطي الفقر هم المستفيدون الحقيقيون من برامج القروض الصغيرة أكثر من الفقراء شديدي الفقر . كما أن أفقر الفقراء يحتاج إلى تدريب أكثر ليتمكن من الاستفادة من البرنامج، وهو ما يتطلب حجم إنفاق أكبر من قبل المنظمات غير الحكومية العاملة في برامج القروض الصغيرة؛ وهو ما يرفع تكلفة البرنامج، وحيث إن هذه المنظمات تعمل تحت ضغوط أن تعتمد على نفسها في تسيير برامجها من عائدها المادي فإن الحافز على مساعدة هؤلاء الفقراء غير موجود بالأساس؛

❖ تعميق الاعتماد على الاقتراض:

وهي إحدى السلبيات لبرامج القروض الصغيرة؛ فنسبة الفوائد العالية لسداد الدين وتعدد القروض لنفس المستفيد وقلة عدد من يغادر البرنامج من المستفيدين.. إنما يعكس اعتماد المستفيدين كلياً على القروض خلافاً لما هو مطلوب، وهو تحقيق الاعتماد على النفس والقدرة على زيادة الدخل بحيث لا يحتاج الفقير إلى الاقتراض مجدداً؛ (**)

❖ الشفافية في المنظمات غير الحكومية:

من خلال برامج القروض متناهية الصغر فإن بعض المنظمات غير الحكومية وجدت في هذا البرنامج فرصة رائعة لكسب العيش والربح بصورة سريعة وبمجهود قليل، إضافة إلى انهمار المساعدات الخارجية على المنظمات العاملة في هذا المجال، حيث تحصل المنظمات على رأس المال المستخدم في الإقراض كمنحة لا ترد من المؤسسات الدولية، في حين أنها تطالب الفقير بدفع الفوائد أو رسوم خدمة الدين . ففقدرة برامج القروض الصغيرة تنحصر على وقف تدهور حالة الفقر في معظم الأحوال.

(**) - إن التحدي الأساسي الذي تمت مواجهته في البداية هو قلة الوعي بالتمويل متناهي الصغر وصعوبة النظر إلى هذا القطاع بنظرة استثمارية، إلا أن النتائج التي تم الحصول عليها بعد التجربة الأولى لفحص تعليم هذا الموضوع كانت إيجابية للغاية.

غير أن هذه السبلات تدفع إلى ضرورة إيجاد معالجات واقعية تختلف من دولة إلى أخرى خاصة بالنسبة للمنظمات العربية والإسلامية حتى تستطيع الوصول للهدف المنشود وهو مكافحة الفقر (طوسون، 2017).

3.11. النتائج المرجوة من برنامج القرض المتناهي الصغر :

تتمثل النتائج المرجوة من برنامج القرض المتناهي الصغر في مايلي :

- الجوانب الاجتماعية: العدالة الاجتماعية، والسلامة والصحة المهنية، وانخفاض التوتر والعنف في المجتمع وانخفاض السرقات في المجتمع؛
- الجوانب الاقتصادية: التمكين الاقتصادي في المجتمع والاستثمار؛
- الجوانب السياسية: حقوق واستقرار الدولة؛
- الجوانب البيئية: محاربة التلوث البيئي، وتطوير البنية الأساسية في المجتمع (صلي، 2017).

III. واقع القروض متناهية الصغر في الوطن العربي :

أشار المختصون إلى وجود نوعين من الموارد التي يمكن تهيئتها لأغراض التمويل متناهي الصغر بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية على المستوى الإحصائي ووفقاً لاستبيان قامت به الشبكة العربية للتمويل الأصغر في البلدان العربية – سنابل – خاص بالتمويل الأصغر الإسلامي في المنطقة العربية حيث قامت بجمع بيانات « 36 » مؤسسة تمويل أصغر عربية، فقد بلغ إجمالي عملاء محفظة 30 مؤسسة من هذه المؤسسات « 567467 » عميلاً بإجمالي قيمة تقدر 226.27 مليون دولار في عشر دول عربية ومقارنة محفظة تلك المؤسسات مع إجمالي عدد عملاء التمويل الأصغر في منطقة الوطن العربي وقيمة المحفظة الوارد ذكرها بالتقرير العربي الإقليمي لعام 2010 وجد أن إجمالي المحفظة النشطة لعملاء التمويل الأصغر في الوطن العربي في الربع الأول من 2010 هو 3 ملايين عميل بمحفظة قيمتها 1.59 مليار دولار مما يعني أن نسبة عملاء تلك المؤسسات التي تضمناها الاستبيان ويتمتعون بخدمات التمويل الأصغر الإسلامي هي تقريباً 19 % من إجمالي عدد عملاء التمويل الأصغر العربي وقيمة محفظة التمويل الأصغر الإسلامي هي تمثل 14.2 % من إجمالي محفظة التمويل الأصغر العربية. وتحليل أرقام الاستبيان لاحظ المختصون أن 47 % من تلك المؤسسات هي مؤسسات غير حكومية و 3 % فقط منها هي مؤسسات حكومية مما يدل على تدني تدخل الحكومات العربية لممارسة هذا النشاط بشكل مباشر و 15 % فقط من تلك المؤسسات هي مصارف تجارية و 9 % من تلك المؤسسات هي بنوك تمويل أصغر متخصص و 23 % من تلك المؤسسات شكلها القانوني مؤسسات مصرفية غير بنكية، كما وضح الاستبيان الغياب التام للأسواق العربية الرئيسية للتمويل الأصغر في تقديم خدمات التمويل الأصغر الإسلامي فنجد غياب الأسواق المصرية والمغربية والتونسية وتلك الأسواق تمثل أكثر من 80 % من الحصة المخدومة من عملاء التمويل الأصغر العربي بشكل عام فقد أشار الاستبيان إلى ضعف انتشار التمويل الأصغر الإسلامي في الدول العربية وعدم إقبال مقدمي خدمات التمويل الأصغر التقليدي على تقديم خدمات التمويل الأصغر (مؤسسات التمويل متناهي الصغر الإسلامية تعاني ضعف و عدم الاقبال، 2017).

1.11. تجارب بعض الدول :

إن الصناعة تنمو بشكل ملحوظ، وطبقاً لـ Consultative Group to Assist the Poor (CGAP) فإن عدد عملاء التمويل متناهي الصغر المستخدمين للمنتجات التمويلية المتوافقة مع الشريعة الإسلامية قد ارتفع من 380 ألف في عام

2008 إلى 1.28 مليون في عام 2013، كما تضاعف عدد المؤسسات التي تقدم التمويل الإسلامي متناهي الصغر منذ عام 2006.

ويتركز النمو الأكبر بصناعة التمويل متناهي الصغر والمتوافق مع الشريعة الإسلامية في 3 بلدان تشمل كلاً من بنجلاديش والسودان واندونيسيا، نتيجة السياسة الحكومية السودانية الداعمة لها حيث قام البنك المركزي السوداني بتأسيس وحدة للتمويل متناهي الصغر بالإضافة إلى انتشار المجتمعات الاقتصادية الريفية النشطة في كل من اندونيسيا وبنجلاديش التي استفادت من مبادرات الصناعة المطروحة هناك (موقوفات تواجه اختراق التمويل الاسلامي للشركات متناهية الصغر، 2017).

أ- تجربة بنغلادش (بنك جرامين):

تشير التقديرات إلى أن أكثر من 94% من القروض البنكية العربية تذهب لرجال الأعمال ذوي الوزن الثقيل، وتأتي الدول العربية في ذيل قائمة الدول التي تمنح قروضا للفقراء كي ينشئوا بها مشروعات صغيرة في بنغلاديش، وقد انتبه إلى هذه الثغرة في التمويل الاقتصادي محمد يونس، مؤسس بنك جرامين أو بنك القرية أو ما اصطلح على تسميته "بنك الفقراء"، الذي حاز جائزة نوبل للسلام في العام 2006. بدأت التجربة في العام 1976 عبارة عن مشروع اقتصادي ربحي يقوم على تدوير المال واستثماره، وذلك بإقراض المال لعملائه من الفقراء.

في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي كان الفقر يسيطر على الغالبية العظمى من شعب بنجلاديش، الذي كان يعاني من أعلى نسبة مجاعة في العالم أدت إلى موت مئات الآلاف، إن لم يكن الملايين بسبب الجوع، وكنت آنذاك أدرس الاقتصاد في الولايات المتحدة، وسمعت أن أهالي قريتي من أكثر القرى تضرراً من هذه المجاعة، فقررت العودة وقمت بتدريس الاقتصاد في جامعة قريبة من قريتي، ومع اشتداد المجاعة قررت المساعدة في انتشالهم من هذا الوضع السيئ، وبدأت أفكر في كيفية مساعدتهم، وفي هذه الوقت قام يونس بعرض افكاره على الأغنياء والبنوك في كيفية الأخذ بيد الفقراء الذين يموتون جوعاً فسخرها من أفكاره وخاصة ما يتعلق بتقديم قروض بدون ضمانات أو فوائد ربوية، والتي تعد عصب النظام المصرفي الوضعي الذي يزداد الأغنياء في ظله غني ويزداد الفقراء فقراً.

و بمساعدة طلابه استطاع "يونس" ان يحسن من أحوال الفقراء في 42 قرية أخرى محيطة، واكتشف أن الوضع القائم لا يتيح للفقراء توفير قرش واحد، ومن ثم لا يستطيعون تحسين أحوالهم مهما بلغ جدهم واجتهادهم في العمل، ومن ثم اكتشف أنهم لا يحتاجون إلا إلى رأس مالٍ يتيح لهم الاستفادة من عوائد أموالهم .

بدأ محمد يونس تجربته، وأقرض 42 امرأة من الفقراء مبلغاً بسيطاً من المال من جيبه الخاص بدون فائدة، ودون تحديد لموعد الرد، ولأنه رأى عدم إمكانية الاستمرار في ذلك، فقد مضى يحاول إقناع البنك المركزي أو البنوك التجارية لوضع نظام لإقراض الفقراء بدون ضمانات، وهو ما دعا رجال البنوك للسخرية منه ومن أفكاره، زاعمين أن الفقراء ليسوا أهلاً للإقراض، وعبئاً حاول إقناعهم أن يُجربُوا، ومن ثم فقد اقترضَ قرصاً خاصاً ليبدأ به مشروعاً في قرية جوبرا. وبمساعدة طلابه أمضى في متابعته ودراسته من عام 1976 حتى عام 1979 في محاولة لإثبات وجهة نظره بأن الفقراء جديرون بالاقتراض، وقد نجح مشروعه نجاحاً باهراً، وغير حياة 500 أسرة من الفقراء، وفي عام 1979 اقتنع البنك المركزي بنجاح الفكرة، وتبنى مشروع "جرامين" أي "مشروع القرية". وفي عام 1981 زاد من حجم المشروع ليُشمَل 5 مقاطعات، وقد أكدت كل مرحلة من تلك المراحل فاعلية نظام القروض المتناهية في الصغر، حتى وصل عملاء البنك "المشروع" عام 1983 إلى 59 ألف عميل، يخدمهم 86 فرعاً، وفي تلك المرحلة قرر يونس إنهاء حياته الأكاديمية، وأن يمضي في طريقه؛ حيث تم اعتماد بنك جرامين في ذلك العام كمؤسسة مستقلة لترتبط حياته بهذه المؤسسة التي كانت حلماً فصارت واقعاً واعداً منذ تلك اللحظة وإلى الأبد. وساهمت الحكومة في هذا البنك بنسبة 60 %

من رأس المال المدفوع، بينما كانت الـ 40 % الباقية مملوكة للفقراء من المقترضين. وفي عام 1986م صارت النسبة 25 % للحكومة و 75 % للمقترضين (بنك الفقراء القروض متناهية الصغر و المعركة ضد الفقراء في العالم، 2017). وبحلول عام 1987 كان "جرامين بنك" قد افتتح 300 فرع في قرى بنجلاديش وساعد أكثر من 250 ألف مقترض من الفقراء، و وصل حجم القروض في بنك جرامين إلى ما يقرب من ملياري دولار (حسب تقرير جرامين بنك - ديسمبر 1998) يتم إقراضها لحوالي 2.5 مليون من الفقراء، 96 % منهم من النساء، وعدد الفروع داخل بنجلاديش 1137 فرعاً تغطي 39045 قرية، كما تقل نسبة عدم السداد عن 2% من إجمالي عدد القروض (طوسون، 2017). بدأت تجربة بنك الفقراء تنتشر في العالم، ولم تعد قاصرة الآن على بنجلاديش فقط كما قد يظن البعض، وإنما أصبحت موجودة في كثير من بلاد العالم، الأسس الذي أنشئ من أجلها ولتحقيق نفس الهدف وهو محاربة الربا والاستغلال والاحتكار، والاستغناء عملياً عن النظام الاقتصادي السيئ المطبق في العالم حالياً وفيه استغلال للفقراء لخدمة الأغنياء، لأن هناك بعض البنوك التي تؤمن بأهمية الاقتصاد الحقيقي المنتج وتحقيق أرباح بعيداً عن الربا والاستغلال.

ب- تجربة السودان (البنك الصناعي السوداني):

اهتمت السودان بتمويل المشروعات الصغيرة و متناهية الصغر و ذلك بهدف التغلب على الآثار السلبية لسياسات الخصخصة و التحرير الاقتصادي، و التي من الممكن ان تحدث فجوة بين طبقات الاجتماعية و تؤدي الى اختلال في توزيع الثروة مما يؤدي الى حدوث اضطرابات سياسية و عدم الاستقرار، حيث وفرت الحكومة صناديق إعانة ودعم للاستثمارات متناهية الصغر وهو ما كان له دور بارز على صناعة التمويل متناهي الصغر، و تحضى المشروعات الصغيرة بأهمية بالغة في عملية التنمية في السودان فهي تمثل 95% من اجمالي المشروعات بها و تضم 27.4% من قوة العمل و تنتج حوالي 34.3% من الناتج الكلي للصناعة، و نظرا للأهمية الكبيرة لهذا النوع من المشاريع اهتمت بتوليها و بشروط ميسرة تمثلت في :

- اعفاء اصحاب المشروعات من القسط الاول بشر ابراز الجدية .
- قبول الضمان الشخصي و ضمانات الصناديق الاجتماعية و الاتحادات و المنظمات المعنية بالمشروعات الصغيرة .
- ان يكون النشاط انتاجيا .
- ان يغطي التمويل التكلفة الكلية و يحقق عائدا مجزيا (الناروز، 2015، الصفحة 99).
- و قد برزت عدة مؤسسات في مجال تمويل المشروعات الصغيرة و متناهية الصغر ، و كانت البنوك الاسلامية تلعب دور فعال في هذا المجال ، كما انها تعتبر من الأطراف التي كان لها أدوار أيضا البنوك الإسلامية في بعض البلدان حيث قامت بتوفير منتجات تمويلية متناهية الصغر متوافقة مع الشريعة الإسلامية حيث نجح بنك الخرطوم في العمل مع المجتمع الزراعي داخل السودان من خلال منتجات السلم. وسمحت مبادرة بنك الخرطوم للفلاحين أصحاب أحجام العمل الصغيرة في تأمين الأموال الضرورية لتنمية البنية التحتية بما يشمل الأجهزة والمعدات اللازمة لتدعيم عمليات الري من الخزانات الأرضية (معوقات تواجه اختراق التمويل الاسلامي للشركات متناهية الصغر، 2017).

كما قام البنك بتمويل عدد من المشاريع الصناعية لا يزيد عددها عن 300 مشروع باجمالي 60 مليون جنيه سوداني خلال 30 سنة (من سنة 1962 الى 1991) بمتوسط 2 مليون و هذا مبلغ ضئيل جدا بالمقارنة بين ما قدمه البنك من سنة 1992-1995 حيث بلغ التمويل في هذه الفترة حوالي 5 مليار جنيه استرليني بمتوسط 1.25 مليار جنيه سوداني ويرجع ذلك الى البنك الصناعي بدا يركز اهتمامه على القطاع الصناعات الصغيرة تماشيا مع سياسة البنك المركزي السوداني الذي اولى اتمامه في حل

مشاكل التمويل المشاريع الصغيرة و متناهية الصغر و هذا بتبني سياسات ائتمانية تجعل البنوك تهتم بهذا القطاع من المشروعات و لا تتردد في منحه التمويل اللازم (الناروز، 2015، الصفحة 99) .

ت- . التجربة الاندونيسية:

لقد تطور التمويل الاسلامي في اندونيسيا منذ سنة 1991 بحيث يضم البنوك الاسلامية التجارية و الوحدات التجارية الريفية و التعاونيات المالية ، و تتميز اندونيسيا عن بقية الدول النامية بتركيز قطاع التمويل الاصغر في المناطق الريفية الاكثر تباينا و الت يتضمن المؤسسات المالية الرسمية و الغير الرسمية ، و قد ساهم التمويل التمويل الاصغر الاسلامي في الحد من الفقر بنسبة 60% في سنة 1970 الى 11.5 سنة 1994 .

التعاونيات المالية الاسلامية في اندونيسيا ليست جزء من القطاع المالي الرسمي ، و هي منظمات بمبادرة مجموعة من المثقفين المسلمين اصبح يطلق عليها بيت المال و التمويل BMT كمصطلح عام و هي اكبر منظمة جماهيرية اسلامية في اندونيسيا و التي تضم حوالي 95% من التعاونيات الاسلامية مع ما يقارب 40 مليون عضو (الزواوي، 2017) .

III. 2. التحديات و معوقات التي يواجهها التمويل متناهي الصغر :

التحديات التي تقف أمام انتشار التمويل الإسلامي متناهي الصغر، وتشمل كلاً من ارتفاع التكاليف المرتبطة بالتمويل وقلة منتجات التمويل الإسلامي،

إن تنمية التمويل الإسلامي متناهي الصغر تفتقد إلى نظام بيئي داعم له، على غرار النظام الذي ساعد على انتعاش التمويل التقليدي متناهي الصغر منذ عام 1970، ويتطلب هذا النظام البيئي جهوداً واضحة من جانب كل من السلطات التنظيمية وموفرى التمويل والمؤسسات الدينية وغير الحكومية لتنمية ووضع منهج تنسيقى يساعد على تنمية الصناعة على المستويات المحلية والإقليمية والدولية.

وبجانب المشاكل التنظيمية التي تقف أمام صناعة التمويل الإسلامي متناهي الصغر، مازالت هناك تحديات تقف أمام استمرارية وتعزيز المؤسسات العاملة في الصناعة ومن بينها النقص في ابتكار منتجات جديدة بجانب ارتفاع تكاليف التشغيل والعمليات المتعلقة لتنفيذ وطرح تلك المنتجات، بالإضافة إلى ارتفاع التكاليف الأولية أمام أغلب تلك المؤسسات، نتيجة طبيعة الصناعة المجزأة وغياب اقتصادات الحجم عن السوق، ويمتد الأمر إلى إشكالية حجم الطلب حيث لم توضح البحوث ماهية الظروف التي من المفترض أن يفضل فيها العملاء الاعتماد على التمويل الإسلامي متناهي الصغر بدلاً من الاختيارات الأخرى الأقل تكلفة، بجانب تنوع وتعدد التعريفات بالأسواق المختلفة حول مفهوم التمويل الإسلامي متناهي الصغر وهو ما قلل من نمو الصناعة (معوقات تواجه اختراق التمويل الاسلامي للشركات متناهية الصغر، 2017).

خاتمة :

وبرزت أهمية تلك الصناعة في ظل وجود فجوة تمويلية واضحة واستمرار التطور في صناعة التمويل الإسلامي داخل دول العالم الإسلامي ونمو القطاع المصرفي جنباً إلى جنب مع زيادة درجة التطور والتعقيد بأسواق رأس المال والدين.

قائمة المراجع :

- فادي قطان (2006) التمويل متناهي الصغر -نصوص و حالات دراسية -، جامعة تورينو، إيطاليا .
- أحمد عبد الناصر (2013) القروض متناهية الصغر " ، [على الخط]، مجلة أفكار ومشاريع صغيرة، متاح على الموقع : <https://afkarbz.com/%D8%A7>، تاريخ الاطلاع : (2017/11/27) ، ص html.

محمد مصطفى غانم (2010) واقع التمويل الأصغر الإسلامي وآفاق تطويره في فلسطين دراسة تطبيقية على قطاع غزة "، الجمعية الإسلامية ، كلية التجارة ، غزة.

- بوابة التمويل الأصغر (2017) "تاريخ القروض متناهية الصغر" ، [على الخط] ، متاح على الموقع : <http://www.microfinancegateway.org/ar/topics> تاريخ الاطلاع : (2017/11/27) ، ص .html
- شادي محمد عبد الباقي إبراهيم صلي: " أثر التمويل الأصغر للمشروعات الصغيرة في تنمية الفرد والمجتمع "، [على الخط] ، ، متاح على الموقع: <http://www.microfinancegateway.org/ar/library> ، تاريخ الاطلاع : (2017/11/27) .

- أحمد طوسون (2017) القروض متناهية الصغر وسيلة للنهوض بالعالم الثالث " ، موقع المخترعون العرب موهوبون ، متاح على الموقع : <http://www.mawhopon.net/?p=2927> ، تاريخ الاطلاع : (2017/11/28) ، ص .html
- اليوم (2014) مؤسسات التمويل متناهي الصغر الإسلامية تعاني ضعف و عدم الاقبال ، عن موقع انترنت : <http://www.alyaum.com/article/3113108> ، تم الاطلاع عليه يوم: 2017-11-29
- بنك الفقراء القروض متناهية الصغر و المعركة ضد الفقراء في العالم ، عن موقع انترنت : <http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-96-13448.htm> تم الاطلاع عليه يوم 27-10-2017 .

- أحمد طوسون (2016) القروض متناهية الصغر وسيلة للنهوض بالعالم الثالث ، عن موقع انترنت <http://www.mawhopon.net/?p=2927> تم الاطلاع عليه يوم: 2017-11-22
- ضياء الناروز (2015) المشروعات الصغيرة و المتناهية الصغر بين وسائل التمويل التقليدية و الإسلامية -دراسة مقارنة-، دار التعليم الجامعي ، الاسكندرية، الطبعة 1.
- almalnews (2015) معوقات تواجه اختراق التمويل الاسلامي للشركات متناهية الصغر ، عن موقع انترنت : <http://www.almalnews.com/Story/> : تم الاطلاع علي يوم 30-11-2017 .